محاضرات في تاريخ النظم القانونية
النظم الجزائرية

عرفت الجزائر عبر تاريخها عدة عصور تاريخية عديدة حيث لكل عصر مميزاته وخصائصه التي تختلف عن غيره من العصور في أمور كثيرة.

أولا: الجزائر في العصر البدائي

. التنظيم الاجتماعي: قام المجتمع الجزائري في هذا العصر على القبيلة التي تعتبر الممثل للجماعة السكانية، والقبيلة في الشمال الافريقي كانت على نمطين في المعيشة: المعيشة غير المستقرة للقبائل الرعوية أو ما يطلق عليها قبائل الجيتول البدو الرحل وتمثل غالبية السكان. والمعيشة المستقرة لبعض القبائل في القرى والمدن والمداشر.

كانت سياده القبيلة في يد الرجال أثناء السلم والحضور أما اثناء الحرب فالمرأة هي صاحبة السيادة وهي خليفة الرجل في القبيلة في حال غيابه، ساد نظام تعدد الزوجات بهدف كثرة الأولاد لحماية القبيلة والزواج عادة ما يتم مبكرا.

. النظام الاقتصادي: كان اقتصاد البلاد يقوم على تربية المواشي والزراعة أما ملكية الأراضي فكانت جماعية للقبيلة المستقرة والقبيلة غير المستقر كانت تنتقل من مكان الى آخر.

التجارة تتم بطريق المقايضة مع محاولة بعض الممالك النوميدية سك العملة النقدية في أواخر هذا العصر.

. نظام الحكم والتشريع: يمكن تقسيم نظام الحكم في ربوع البلاد الجزائرية الى ثلاث أنواع حسب المناطق والأقاليم:

. الحكم الديمقراطي المباشر: في القبائل المتنقلة البدوية التي تجوب الأرض بحثا عن الماء والعشب، لا تخضع هذه القبائل لسلطة عليا والحكم تقرره بالتفاهم بين أفرادها وغالبا ما تجتهد للوصول إلى المصلحة العامة للمجموعة.

. حكم الأقلية: وذلك في القبائل المستقرة حيث ينوب بعض أفرادها عن المجموعة في إدارة القرية أو الدشرة أو العرش وهذا النوع من الحكم هو الذي أدى إلى ظهور المماليك النوميدية فيما بعد في شرق البلاد وغربها:

. مملكة الماصيل: شرق الجزائر وعاصمتها هيبو (عنابة) ثم مدينة زاما المندثرة وأخيرا مدينة قرطا (قسنطينة) كانت هذه المملكة الأكثر تنظيما وعدد السكان.

. مملكة الماصيصيل: غرب الجزائر عاصمتها سيغا تقع على مصب وادي تافنة في البحر المتوسط شمالا، كانت أكثر مساحة بحيث تشمل حوالي ثلثي مساحة الجزائر الشمالية سكان هذه المملكة أكثر حرية وأقل علاقة بالسلطة المركزية.

. مميزات النظم الجزائرية في هذا العصر: ظهور معالم الحضارة في الجزائر في جميع المجالات الاقتصادية الاجتماعية الثقافية والسياسية.

. تكوين الحكم الوراثي وبروز الصراع بين شرق البلاد وغربها من أجل تحقيق الوحدة السياسية للبلاد.
. غلبة النظام القبلي في الحكم وتسيير المجتمع.
. سيادة العرف كمصدر أساسي ورسمي للقانون في المجتمع الجزائري أثناء هذا العصر، إلى جانب إرادة الحكام وشيوخ القبائل.

ثانيا: الجزائر في العصر النوميدي 238 قبل الميلاد 40 ميلادي

توحدت الجزائر سياسيا في هذه المرحلة لأول مرة في الجزء الشمالي وسميت البلاد بنوميديا.

. التنظيم الاداري

. التنظيم المركزي: كان الملك هو المسير للإدارة المركزية في العاصمة يساعده في ذلك عدة أجهزة: القيادة العليا للجيش، المكلف بالخزينة، والكتابة العامة للمراسلات الرسمية، والحراسة الخاصة ومجلس المساعدين المستشارين، ومجلس أعيان لمدينة العاصمة، وغيرها من الأجهزة.

. التنظيم المحلي: يقوم التنظيم المحلي على نظام إداري مختلط بين إدارة قبلية تسير من رؤساء القبائل بكل حرية واستقلالية عن الإدارة المركزية، وإدارة تابعة للإدارة المركزية بالولاء والطاعة ويظهر في التجنيد وجباية الضرائب وتنفيذ أوامر الملك.

قسمت الجزائر خلال هذا العصر إلى ثلاث جهات إدارية أساسية:

. إقليم نوميديا الشرقية.

. إقليم نوميديا الوسطى.

. إقليم نوميديا الغربية.

وقد استمر هذا التقسيم عبر العصور اللاحقة مع تغير في عواصم الاقاليم الثلاثة، أما الاقاليم الصحراوية فكانت تتمتع بالحرية والاستقلالية.

. النظام القانوني: كان العرف القبلي هو أصل التشريع النوميدي على مستوى القبائل أو في علاقتها بالمملكة النوميدية كما ظهرت أوامر ونواهي الملوك حتى أصبحت تنافس العرف عندما توحدت نوميديا تحت الحكم الملكي وفرض التشريع الملكي هذا بالقوة العسكرية في كثير من الحالات.

ثالثا: الجزائر خلال العهد الروماني 40-430م

دام هذا العهد حوالي ستة قرون

. التنظيم الاداري: خلال هذا العصر قسمت البلاد إلى أربعة أقاليم هي:

. إقليم الشرق ويسمى نوميديا؛

. إقليم الوسط ويسمى بنوميديا الوسطى أو موريتانيا السطيفية.

. إقليم الغرب ويسمى بنوميديا الغربية أو موريتانيا الشرقية.

. أقاليم الجنوب وهي أراضي الصحراء والمناطق الجبلية الحصينة.

كانت مدن الأقاليم الشمالية الثلاثة تنتخب المجالس البلدية للنظري في مصالحها الخاصة وتعتبر مدينة بونة (عنابة) أكبر المدن الجزائرية آنذاك.

. مميزات النظم الجزائرية في هذا العصر

عودة النظام القبلي إلى السيطرة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والإدارية وحتى التشريعية والثقافية فكل قبيلة سعت إلى إقامة مملكة خاصة بها مستقلة عن الدولة المحتلة وعن القبائل الأخرى من أهل البلاد.

. ترسيم الأقاليم الإدارية السابقة: الشرق الوسط والغرب في الشمال والأقاليم الجنوبية في الصحراء.

رابعا: الجزائر في العصر الاسلامي 647 ميلادي 1516 ميلادي

يعتبر العصر الاسلامي في الجزائر من اطول عصورها من الناحية الزمنية ومن ناحيه تغير نظمها السياسية الدينية الثقافية الاجتماعية المالية والإدارية

. مميزات النظم الجزائرية في العصر الاسلامي

. من الناحية السياسية توزع الحكم في البلاد بين العرب الفاتحين في البداية والأمازيغ فيما بعد ويلاحظ أن حكم الامازيغ أطول وأكثر قبولا لدى السكان.

. تنوع المذاهب الفقهية التي تعتبر القوانين التشريعية من حنفية والمالكية وإباضية وظاهرية وفقه وأهل البيت لكن الغلبة في جميع ربوع البلاد كانت للمذهب المالكي بهدف التطبيق الموحد للشريعة الإسلامية مع ترك الأعراف المحلية غير المتعارضة مع الشريعة القائمة.

. تقلص مكانة شيخ القبيلة بظهور العلماء الساهرين على تطبيق أحكام الشريعة وبالتالي فالقيادة تعط للزعيم العسكري والعالم القدير ثم الشريف الأصل حسب الترتيب، فالعسكري يدافع عن السكان وقت الحرب، والعالم يبين الشريعة في الفتوى والقضاء والتكوين، أما شيخ القبيلة فغالبا ما تحول الى معاون ومساعد لهما مع وجود صراع بين هؤلاء.

. ظهور معالم النظم المغاربية المخالفة للنظم الشرقية في إطار الحضارة الإسلامية الواحدة وهذا التنوع في النظم أملته الظروف الاجتماعية والبيئية وحتى اللغوية.

. إختفاء الديانات السابقة اليهودية والمسيحية والوثنية وتعصب السكان للدين الجديد في بعض الأحيان أكثر من الفاتحين، فالأمراء من أهل البلاد هم الذين عربوا الإدارة والعلوم مع المحافظة على الأمازيغية في المعاملات اليومية.

. ظهور المجتمع الجزائري المتماسك بوحدته الترابية والسكانية والدينية واللغوية والذي يبحث عن تحقيق آماله المستقبلية بعيدا عن التأثيرات الخارجية.

خامسا: الجزائر في العصر العثماني 1518 1830

. مميزات النظم الجزائرية في هذا العصر

. تكوين دولة قوية فرضت سيادتها على البحر المتوسط لثلاث قرون من الزمن.

. كثرة المعاهدات والاتفاقيات مع الدول الأجنبية مع تعدد موضوعات هذه المعاهدات.

. التنظيم الإداري المحكم داخل البلاد، مع ترك الحرية لتواجد بعض الأقاليم الشبه المستقلة ويرجع التنظيم الدقيق هذا إلى الإدارة العسكرية مع الأخذ بالتقاليد المحلية السابقة الموروثة من العصر الإسلامي، وقد وصفت الإدارة العثمانية الجزائرية بالمرونة والفعالية والبساطة.

. إعادة الوحدة الوطنية الجزائرية على كامل التراب الوطني كما كانت في العهد النوميدي وأكثر بضم أجزاء كبيرة من الصحراء إلى الجزائر.

سادسا: الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي 1830- 1962

. مميزات النظم الجزائرية خلال الاحتلال الفرنسي

. الصراع بين النظم الجزائرية المستمدة من الشريعة الإسلامية والأعراف الجزائرية المتوارثة عبر الأجيال وبين النظم الاستعمارية العنصرية الموضوعة لإذلال الجزائريين واستغلالهم.

. تعدد القوانين التي تحكم الجزائر فهناك الشريعة الإسلامية والعرف والقوانين التمييزية العنصرية الفرنسية.

. كانت القوانين الفرنسية المطبقة في الجزائر فريدة في تكوينها وموضوعاتها فالجهة التي اختصت بوضع القوانين هي في الغالب السلطة العسكرية أو الأمنية أو الادارية.

. موضوعات هذه القوانين ركزت على الطرق العقابية الزجرية المسلطة على الجزائريين، فهي قوانين قمعية تمييزية عنصرية ذلك أن تلك القوانين كانت خاصة فقط بالجزائريين ولا تطبق على المستوطنين الفرنسيين، ولا على المستوطنين الأوروبيين الآخرين الذين قدموا إلى الجزائر بعد الاحتلال، ولا على اليهود فهي قوانين خاصة بالجزائريين فقط.

. شمول هذه القوانين لمختلف جوانب حياة الجزائريين التعليم الجيش الاقتصاد الثقافة اللغة القضاء الهوية الادارة ومن أمثلة هذه القوانين: قانون الأهالي، قانون المحاكم الردعية، قانون منع استعمال اللغة العربية، قانوقن الحالة المدنية، القوانين العقارية.....